عود إلى المنايل . . . .

للأستاذ محمد عبد الكريم

ننتقل اليوم ثانية إلى المنايل لنعرض ما بقى من تجارب إصلاح القرية ، تلك التجارب التى بدأتها هناك جمعية الدراسات الاجتماعية فى أواخر عام ١٩٣٩ والتى حضر نجاحها بعض المؤسسات الكبيرة كالبنك العقارى الذى تبرع بمبلغ ٣٥٠٠ جنيه أقيم بها مركز اجتماعى ببلدة العجايزة ثم الجمعية الزراعية الملكية التى أنشأت بدورها مركزا اجتماعيا بمزرعتها النموذجية ببهتيم ، وقد جلونا أمر بهتيم وما فيها فى مقال سابق فى هذه الصحيفة — هذا إلى ما أبداه البنك الأهلى من استعداد لدفع مبلغ خمسة آلاف جنيه لإقامة مركز اجتماعى وما تبذله إدارة الفلاح بوزارة الشؤون الاجتماعية من جهود مشكورة لإقامة المراكز الاجتماعية وتعميمها تدريجيا بقرى القطر .

فى القرية :

نحن فى الصباح الباكر فى طريقنا إلى المنايل ، وقد شمل السكون فضاء الحقول ، فلا صوت ولا حركة إلا خرير الماء ينساب فى القنوات ، وأغاريد عذبة متقطعة لتلك الطيور التى يفزعها وقع أقدامنا فتقفز كلما بلغناها من شجرة إلى شجرة ، هذه بلدة المنايل تتكشف خطوة بعد خطوة ، وهؤلاء فلاحوها يخرجون زرافات ووحدانا حاملين فؤوسهم أو ممسكين بزمام مواشيهم ودوابهم إلى حيث يقضون يومهم فى الأرض الطيبة بين أحضان الطبيعة الباسمة المشرقة .

ها نحن قد بلغنا مبانى القرية المتواضعة وها هو ذا مرشدنا الشاب يدلف إلينا من بيت من تلك البيوت الغبراء الدكناء ، حيث ارتضى العيش تاركا الحضر بما فيه من مباهج وأنوار .

وسرنا برفقة المرشد نتفقد مؤسسات القرية فزرنا دار المستوصف حيث كانت العشرات العديدة متراصة تتجاه بابه ، متزاحمين نسوة وأطفالا بوجوه شاحبة وأجسام هزيلة وعيون أعشاها المرض وغشاها ، فاذا تركناهم إلى حيث نشاهد ما بداخل المكان رأينا أسرة عديدة من جريد النخل ، يأوى اليها عدد من الأمهات ، كل جوار وليدها الذى وضعته فى تلك الدار — ويقوم بالتدابير و بإدارة المستوصف زائرة صحية من خريجات مستشفى القصر العينى يعاونها قابلات القرية الأصليات نظير جعل صغير ، وتنهض الزائرة الصحية — عدا التوليد — بأعمال العيادة الخارجية من علاج للحالات البسيطة أو أخذ عينات دم من الحوامل لتحليلها ،

كما تقوم بالتطعيم و بعملية الختان للأطفال — و يشتمل دار المستوصف غير العيادتين الخارجية والداخلية على حمامات يستعمل فيها النساء والأطفال حيث يصرف ليهم الصابون والبترول والماء الساخن والمنشفات — وخدمات المستوصف ودار رعاية الطفل جميلة تضؤل جوارها تكاليفها الزهيدة وحسبنا أن نعدد ما تم بهما خلال عام ١٩٤٢

٨٢٧٥ عدد المترددين على العيادة الخارجية منها ٦٧ حالة ختان .

٨٠ عدد الولادات .

٣٥ عينة دم للحوامل تم فحصها وتبين أنها كلها سلبية ما عدا واحدة .

٧٨ حالة تطعيم ضد الجدرى .

٤٢٥ حالة تطعيم ضد التيفوئيد .

٢٥٠ حالة تطعيم ضد الدفتريا .

٥٢٠ حمام .

وتتعاون مع المستوصف وحدة طبية متنقلة خصصتها وزارة الصحة لعلاج الأمراض المتوطنة . وتلقى لزائرة الصحية محاضرتين صحيتين على تلاميذ مدرسة القرية كما تنظم اجتماعا عاما للأمهات فى كل ثلاثة أيام لإرشادهن إلى طرق الحياة الصحية ونبذ العلاج بالخرافات.

ولقد سردت لنا إحدى الزائرات الصحيات طرفا من هذه الخرافات نذكرها للتفكهة وللوقوف على مدى حاجة الريف فى بلادنا إلى الارشاد . فمن هذه الخرافات أنه لعلاج الرمد يوضع روث الماشية ساخنا على عين الطفل ، أو تعلق قطعة من العقيق فوق العين ، أما السعال فمن الخرافات الشائعة علاجه بوضع حشرة (خنفسة) فى منديل يلف حول الرقبة ، وتظل الحشرة مربوطة إلى الرقبة ، فاذا ماتت مات معها السعال ، وقد يستعاض عن الحشرة بقطعتين من الزلط ، كذلك يرون لمنع الإجهاض أن يكسر الزجاج أو القيشانى ، وإذا تعسر الوضع فما على الأب إلا أن يلبس جلبابا مقلوبا و يطوف بالبلد مبتدئا بالجهة اليسرى ، أو أن تبتلع الأم خيطا مطويا يكون طوله مساويا لطول قامتها وقامة زوجها ، وهم يلحون الأطفال عقب ولادتهم ، و يملؤون أعينهم بالقطران وآذانهم بالملح والفلفل وماء البصل ، أما الحسد فلتجنب فعله أساليب أشنع وأبشع ، إذ يهملون عمدا نظافة الطفل و يرون فى ذلك ما يقى شر العين ، أو يقصون عرائس من الورق يثقبونها و يحرقونها أو يوزعون حب "الكزبرة" على الأهل والجيران ليمضغوه ثم يحرق مع الحب الأحمر المعروف بعين العفريت . ومنهم من يرى فى غسل وجه الطفل ببوله خير ما يحفظ صحته ، وهم يعالجون الأمراض الباطنة بالكوى و يأبون الا أن يقدم الكوس على نعل "بلغة — هذا عن الطب ، أما الصيدلة فدستورها مرتجل أو على الأكثر مستق من الوصفات القديمة أو من تذكرة

داود ، وليست حال فلاحى المنايل الا صورة لما هو شائع فى ريف بلادنا عامة ، لذلك كان الدور الذى تقوم به الرائرة الصحية بتعاونها مع الطبيب والاخصائى الاجتماعى دورا بالغا فى الأهمية .

ولعل ما تقوم به المؤسستان الصحيتان " المستوصف والوحدة " هو الفحص الطبى الشامل وذلك بالكشف على الأهلين وتحليل دمهم و بولهم و بصاقهم ، والفحص الطبى الشامل هو فكرة جديدة رآها وقام بتنفيذها المرحوم الدكتور عبدالواحد الوكيل بك وقد رمى رحمه الله بها الى تسهيل عمل المستشفيات وايجاد مرجع دقيق للاحصاء الصحى . ويخصص طبيب الوحدة لهذا الفحص ثلاثة أيام كل أسبوع وقد تم حتى الآن فحص ١٠٥٠ من الأهلين الذين يبلغون ١٦٥٠ ساكنا .

فى القرية حيث يقوم الاصلاح:

وخرجنا من دار المستوصف صحبة المرشد الاجتماعى الى قلب القرية نجوب حواريها ونذرع طرقاتها — ولكم آثار أعجابنا ماشهدناه من نظافة بالغة لمسنا أثرها فى كل ما وقعت عليه أعيننا فى البيوت وفى الطرقات ، على أن هذه الحالة ليست سوى نتيجة لجهود المرشد والرائرة الصحية اللذين نظما من بين بنات القرية فرقة للنظافة تعنى بأمر الطرقات كما عمدا الى تشجيع أصحاب البيوت التى تحرز قصب السبق فى العناية بمساكنها وذلك بمنحهم جوائز ثمينة من رؤوس الأغنام أو الدواجن .

انتقلنا بعد ذلك الى المركز الاجتماعى مارين فى طريقنا بمكان البرك التى تعاون الأهلون على ردمها باشراف المرشد ، وقد تكلف ردم البركتين سبعين جنيها — ولا زالت بالقرية بركة لما تردم بعد .

و يقوم المركز الاجتماعى فى دار متواضعة بها ندوة صغيرة للفلاحين تحتوى على مكتبة وصالة اجتماع بها مذياع ونول نموذجى للنسيج وآخر لصناعة دثر الرقبة (الكوفيات) .

وقد أطلعنا المرشد الاجتماعى على بعض آثار جهود المركز فى سبيل انهاض القرية ونحن نلخص أعماله فى ثلاث نواح :

قيامه بتكوين جماعة تعاونية من الأهلين تقوم بامداد الأعضاء بحاجياتهم الزراعية المختلفة كبذرة القطن وتقاوى القمح والشعير والأسمدة ، وقد استوردت الجماعة أربعمائة شجرة فاكهة وزعتها على الأعضاء كما وزعت عليهم مائة وأربعين شجرة توت .

إن من خير ما بذلت جماعة التعاون قيامها بتوزيع المواد الأولية الضرورية كالبترول والسكر والزيت وهو العمل الذى يقوم به العمد فى القرى الأخرى و يتسبب عن قيام هؤلاء به ، متاعب كثيرة وشكاوى لا تنقطع ، وقد كان من أثر نجاح هذه الجماعة أن تقدم الأهلون فى القرى المجاورة طالبين الى المرشد معاونتهم فى إنشاء جماعات مماثلة ببلدانهم وقد تم فعلا جمع ٣١٢ جنيها كنواة لتأسيس جماعة تعاونية بقرية سنوه .

وقد عمل المركز الاجتماعى على تنمية ثروة القرية بالدعوة للزراعات الرابحة ، وقد أفلح فعلا فى حمل الأهلين على زراعة الخضر فزرع منها مايقرب من الثلاثين فدانا ثم سعى لإيجاد صناعات تزيد فى كسب الأهلين كالنسيج بالأنوال وكتربية الدجاج إذا استورد أكثر من ألف ومائتى فرخا من السلالات الممتازة ، هذا إلى ما تقوم به المدرسة من جهود موفقة سبق أن ألمعنا لها فى مقال سابق .

والعمل الأخير للمركز الاجتماعى هو قيامه بواسطة الاخصائى بارشاد الأهلين الى طرق الزراعة الفنية كاستعمال المضرب المقمعى فى زراعة القطن والتبليغ عن الماشية المصابة لعزلها وعلاجها — هذا الى عنايته بتنظيم جماعة الإحسان التى تجمع الصدقات من الأهلين . وإن من خير ما استنت هذه الجماعة أنها فرضت على كل بيت فى مواسم الحصاد مقدارا صغيرا من الذرة أو القمح لتوزعها على الأسرات الفقيرة .

اصلاح القرية فى ضوء تجربة المنايل :

ليس من الميسور استقراء منهاج ثابت فى ضوء تجارب لما يمض على القيام بها أكثر من سنوات أربع ، فتجارب اصلاح القرية كما يراها المشتغلون بالاجتماع من التجارب طويلة الأمد ، لذلك نرانا حين نناقش الموضوع نقدم حسابا وقتيا لما شاهدناه مستقرئين مما كان ، ما ينبغى أن يكون ، فنقول إن التجربة قد هدفت كما رأينا الى أغراض ثلاثة :

(الأول) العناية بالناحية الثقافية — وقد أفردنا لهذا بحثا خاصا فى مقال سابق بينا فيه رأينا فى المدرسة الريفية إذ وجدنا فيها عملا مثاليا جديرا بالاقتفاء ، على أن اعجابنا بفكرة المدرسة لا يمنعنا من أن نوجه انظار القائمين بأمرها الى أنها فى حاجة الى رعاية واشراف حازم ذلك بأنها حين انشئت أسند أمر الاشراف عليها الى أحد أعضاء رابطة التربية الحديثة هو الأستاذ محمد فريد أبو حديد .

أما وقد تخلى الأستاذ فريد عن مهمته لظروف اقتضت ذلك فجدير بالرابطة أن تكل الرقابة الى آخر لأن المؤسسة على جمال نظامها ودقة مناهجها مهملة المرافق وحسبنا أن نذكر أن الناحية العملية فيها لا تسير على النسق الذى أقيمت عليه فالعمال الاجراء يقومون بالجانب الأكبر من العمل فى الحقل أو فى غرف الصناعة وكان الواجب يقضى بتكليف التلاميذ بالقيام به وأن يقصر دور المعلمين أو الصناع على مجرد الارشاد .

(الثانى) هو رفع المستوى الصحى للقرية وفى هذا يمكننا أن نقرر أن التجربة قد نجحت كثيرا وخاصة فيما اتخذ من القيام بفحص طبى شامل الذى يعتبر بحق أهم ما ينبغى يبدأ به للوقوف على حالة الفلاح والعمل على علاجه ووقايته — ثم إن المستوصف قد أتى بنتائج باهرة لا تقاس جوارها تلك المبالغ التافهة التى تنفق عليه ، وحسبنا أن نعلم أنه

بواسطة زائرة صحية لا يتجاوز مرتبها ومرتبات من يعاونها مائة وثمانين جنيها فى السنة ، وبقليل من العقاقير الطبية أمكن علاج ورعاية ألوف عديدة من الأمهات والأطفال فى ثلاث قرى هى المنايل وسدوه وكفر حمزه .

أما المرافق الصحية فان أثر التجربة فيها ضئيل سواء فيما يتعلق بماء الشرب أو فى أمر المرحاض الصحى — ذلك بأنها قصرت فى الأولى على دق بعض الطلمبات وفى الثانية على إعداد مراحيض من نوعين مختلفين — على أن التجربة قد أفادت من ناحية واحدة هى التحقق من عدم صلاحية نوعين من الطلمبات — لأول طلمبة كرويل والثانى بئر الدلو الصحى ، وقد أمكن بعد الوقوف على هذا توفير مبالغ طائلة كان ولاة الأمور على وشك انفاقها فى تعميم هذه الطلمبات . فكان من أثر التجربة إيقاف السير فى تعميمها إذ اتضح أن الفلاح لا يحسن استعمالها وأنها سريعة التلف ويفضل الفلاح استخدام الطلمبة العادية (الماصة الكابسة) ثم إن دق الطلمبات قد أشعر الفلاح بمزاياها حتى إنه لا يطيق الاستغناء عنها بعد أن تعود الانتفاع بمائها الصافى . وقد حدثنا الدكتور أحمد حسين فى صدد طلمبات المنايل أنه بلغ من اهتمام الفلاحين هناك بأمر الطلمبات أنهم يتناوبون بانتصام إدارتها ويتعاونون فى إصلاحها ، وقد حدث أن أهمل العامل المكلف بخدمة المركز فى إجابة طلب إصلاحها فاشتبك الأهلون معه فى عراك مما يدل على مبلغ حرصهم على هذه الأداة النافعة .

أما المرحاض الصحى فان التجربة لم تسفر على نتيجة حاسمة بشأنه بل لا تكون منصفين إذا قلنا إن عمل الجمعية فى هذا فيه تناقض غير مفهوم ، فبينما هى تعلن فى تقريرها أن مرحاض السماد قد أفاد بانتاج سماد تبلغ قيمته لزراعة ضعف قيمة السماد البلدى العادى — نراها فى جانب آخر تتوسع فى بناء مراحيض روكفلر وتقرر تعميمها بالقرية — وكان واجبا قبل الاقدام على هذه الخطوة أن تطلعنا نهائيا ما استقر عليه الرأى فى مرحاض السماد وخاصة أن الفلاح فى أشد الحاجة الى هذه المادة الحيوية للزراعة — وإذا كان وجود يرقات " الاسكوس " فى مرحاض السماد هو سر تأخر البت فى إقرار تعميمه كما علمنا من حضرة الدكتور أحمد حسين

فاننا نرى أن يعالج أمر اماتة هذه اليرقات فاذا كانت المدة التى يترك فيها نصف المرحاض جافا لا تكفى لإماتة اليرقات فان فى توسيع المرحاض ما يطيل هذه المدة ويميت بالتالى هذه اليرقات .

ولا يفوتنا فى هذا أن نقول إن تعميم المراحيض الصحية بالقرى لا يمكن أن يتم بغير معونة مادية كافية من الحكومة بسبب فقر الفلاح وتجاوز تكاليف هذا الأمر طاقة الأغلبية .

تلك هى نتيجة التجربة فى الناحية الصحية أما الناحية الاقتصادية فقد أسفرت فيها عن أمرين :

ما ثبت من اهتمام الفلاح بالتعاون وإقباله عليه وخاصة حينما يلمس نتائجه .

وقد رأينا كيف سعى سكان قرية سدوة فى تكوين جماعة تعاونية حينما شاهدوا حيرانهم بالمنايل يقطفون ثمار تعاونهم . ثم إن وجود الجماعات التعاونية لا يعود على المساهم وحده بالربح بل يعم أثره كل سكان القرية وخاصة فى ظروف الحرب القائمة إذ يسهل حصولهم على المؤن والحاجيات الضرورية التى يقوم العمد والمشايخ بتوزيعها وفى هذا ما فيه من ضرر لا ينكر .

ما أسفرت عنه التجربة من عدم إقبال الأهلين على الصناعة التى مهد لها المرشد الاجتماعى باعداد أنوال أو توزيع دود القز . وعندنا أن الدود أو الأنوال ينبغى أن توزع على فتيات القرية لا على فتيانها — إذ أن الأولين أكثر ميلا إلى مثل هـذا العمل الذى لا يحتاج إلى انقطاع الشبان اليه .

ومن الممكن أن تعم الصناعات المنزليـة إذا راعينا إسنادها إلى الاناث لا إلى الذكور ثم ان تجربة المنايل لم تعرض لمسألتين حيويتين . الأولى مسألة المسكن والثانية هى تنظيم الصحى للطرقات — أما التنظيم الصحى للطرقات فقد يكون للجمعية عذرها فى عدم قدرتها على النهوض به لما يتطلبه شق الطرق من نفقة — وإنا لنرجو أن تسارع اللجنة التى ألفتها وزارة الصحة لعمل خارطات جديدة للقرى باتمام مهمتها وأن يصدر فى القريب قانون الإصلاح القروى حتى نضع حدا لفوضى البناء ونشهد قرانا كغيرها من قرى العالم المتمدين قائمة على تنظيم أصولى صحى .

أما المسكن الصحى فقد خرج عن نطاق التجربة — ولسنا نرى ما يحول دون قيام الجمعية ببناء ولو بيت واحد كأنموذج على أن يراعى فى بنائه استيفاءه لشروط الصحة مع بساطة تكاليفه . ويمكن للجمعية أن تستفيد بهذا البيت بجعله مقرا للمرشد الاجتماعى ومسكنا له ونحن نغتنم هذه الفرصة لنوجه أنظار ولاة الأمور بمصلحة الشؤون القروية الى أهمية البيت النموذجى فى تحسين حالة المساكن بالقرى وعندنا أن خير وسيلة لتشجيع الفلاحين على إقامة بيوتهم على نسق صحى أن تخول الوزارة ادارة الهندسة القروية فى كل مسكن رد جانب من تكاليف كل بيت يراعى منشؤه مطابقته للبيت النموذجى .

وبعد . فان جمعية الدراسات الاجتماعية قد أفادت كثيرا باقدامها على تجاربها فى إصلاح القرية وحسبها فيما قدمت أنها مهدت السبيل لغيرها من الهيئات، ولوزارة الشؤون الاجتماعية أيضا للاقتداء بها والاقتفاء أثرها. فالمركز الاجتماعى الذى بدأ فى المنايل يقوم اليوم نظيره فى أربع عشرة قرية — وإنا لنرجو أن يضاعف ولاة الأمور والمعنون بالاصلاح مؤازرتهم لجمعية الدراسات الاجتماعية وعنايتهم بأمر المراكز الاجتماعية — وأن نشهد هذه المراكز بعد استكمال ما ينقصها معممة فى كل قرى القطر بما ينهض بأمر الفلاح ويصلح من شأنه .

محمد عبد الكريم